المسلمون والنصارى نموذجا للتعايش السلمى فى الأندلس

د/ راوية عبدالحميد شافع

أستاذ مساعد التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية
كلية الآداب جامعة حلوان قسم التاريخ

المقدمة:-

يتناول البحث نقطة مهمة حول التعايش السلمى بين المسلمين والنصارى، فى ظل حكم الدولة الإسلامية في الأندلس، ونحاول من خلاله إبراز وضع النصارى على وجه التحديد، من حيث الحقوق والواجبات، التأثير والتأثر في كافة جوانب العيش المشترك بين أكبر عنصرين مكونين للمجتمع الأندلسى.

وقد تعددت العناصر السكانية المكونة للمجتمع الأندلسى فى ظل حكم الدولة الإسلامية في الأندلس، وعاش الجميع تحت مظلة حكم المسلمين، منذ الفتح الإسلامى للأندلس (1)، سنة 92 هـ / 711م، وحتى سقوط الأندلس، بسقوط أخر مدنها الإسلامية مدينة غرناطة سنة 897 هـ / 1492م، وقد كانت أكبر تلك العناصر المكونة للمجتمع الإسلامى الأندلسى على الإطلاق هم المسلمون ثم النصارى، وذلك من حيث العدد والتأثير فى المجتمع، تتبعهم طوائف أخرى كاليهود وغيرهم، والمقصود هنا بالنصارى، أى الذين عاشوا تحت ظل الدولة الإسلامية فى الأندلس عقب الفتوحات الإسلامية.

Muslims and Christians are examples of peaceful coexistence in Andalusia

dr: Rawya Abd El Hamed SHafea

Assistant Professor of Islamic History and Islamic Civilization
Faculty of Arts, University Of Helwan

Since the Islamic conquest of Andalusia in the year 92 AH / 711 AD, until the fall of Andalusia, the fall of the last Islamic cities of Granada city in 897 AH / 1492 AD, and was the largest elements of the Andalusian society under the rule of the Islamic state in Andalusia, The components of the Andalusian Islamic society are Muslims and then Christians, in terms of number and influence in the Andalusian society, followed by other sects such as Jews and
others

DOI:10.12816/0044288

Muslims lived side by side with the Christians and all the communities of Andalusia, especially in the cities that were painted in Islamic form after the Islamic conquests. The research focuses on the two largest elements, Muslims and Christians, which shaped the face of life in all its social, political, scientific and economic aspects. , It emerged clearly in the early period of the Islamic conquests, which prevailed and the upper hand of the Muslims

There has been a process of integration and cultural exchange, influence and impact at all levels. This was aided by the policy of religious tolerance adopted by Muslims. They did not impose their religion on the people who are obsessed with the language of the age by force; they provided the opportunity for all to live side by side. One of yolój -Qurtubi, said that the Arab conquerors were so the monks of Córdoba, a monk devious and clever that they did not forcibly impose their religion on the Christians and others, enabling them to have their own children, and did not realize that this was the core of
Islam

وقد عاش المسلمون إلى جانب النصارى، وكافة طوائف المجتمع الأندلسى، وبخاصة فى المدن التى صبغت بالصبغة الإسلامية عقب الفتوحات الإسلامية مباشرة، ويركز البحث فيها على أكبر عنصرين وهما المسلمون والنصارى، حيث شكلا وجه الحياة فى كافة مناحيها الإجتماعية والسياسية والعلمية والاقتصادية، فقد ذاب الجانبين كلاهما في الأخر، ظهر ذلك بصورة واضحة فى الفترة الأولى من حكم المسلمين، والتى كانت الغلبة واليد العليا فيها للمسلمين.

فقد حدثت خلالها عملية اندماج وتبادل حضاري وتأثير وتأثر، على كافة الأصعدة، ساعد على ذلك سياسة التسامح الديني التى انتهجها المسلمون، حيث لم يفرضوا دينهم على الشعب المغلوب ـ بلغة العصر ـ بالقوة، بل أتاحوا الفرصة للجميع للعيش جنبا إلى جنب، فقد تميز المجتمع الإسلامي وبخاصة في فترة العصور الوسطى أى فترة الفتوحات الإسلامية، بأنه مجتمع يضم جماعات وأفراد مختلفة العقائد، وقد وضحت تلك الميزة على أرض الأندلس بصورة أكثر وأكبر، فيذكر المستشرق الفرنسي ليفى بروفنسال :- أن ولاة الأندلس انتهجوا سياسة التسامح تجاه كل الطوائف من نصارى ويهود ومستعربين وغيرهم، حيث ترك لهم حرية ممارسة طقوسهم وأنشطتهم فى حرية تامة (2)، وليس أدل على هذا من الإستشهاد برأى أحد رهبان قرطبة، وهو الراهب يولوج القرطبي (3)، والذى كان من أكثر القساوسة والرهبان المبغضين والمتعصبين ضد الإسلام والوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية بصفة عامة، وقرطبة مسقط رأسه بصفة خاصة.

وقد حمله هذا البغض إلى أن قال:- '' كان من مكر العرب أن تظاهروا بأنهم لا يهتمون بدخول الناس في الإسلام، فتطلعت نفوس الناس إلى ذلك الإسلام، و ودوا لو يتعرفون عليه لعلهم

يعرفون السبب فى اختصاص العرب أنفسهم به وضنهم به على غيرهم، فما زالوا يفعلون ذلك ويسألون عن الإسلام ويستفسرون، حتى وجدوا أنفسهم مسلمين دون أن يدروا '' (4).

وحول نفس الموضوع يضيف د/ حسين مؤنس فى كتابه '' الإسلام الفاتح ''، وحول نفس النقطة عن تلك السماحة فى ترك حرية العقيدة للشعوب التى تحكم فى ظل الدولة الإسلامية، ويقول:- '' إن التحول إلى الإسلام تم فى هدوء وسكون، وانسابت العقيدة فى قلوب الناس كما ينساب الماء فى أرض الزرع فتخضر وتزهر وتثمر بأذن ربها ''(5).

ونضيف فى نفس السياق أيضا، أن يولوج لم يع أن تلك لب قضية الإسلام مع كل الشعوب التى نزلوا عليها فاتحين، وأن تلك المعاملة هى الفطرة التى حملها الفاتحون المسلمون الأوائل، والتى استقوها من مدرسة النبوة الأولى، فى تعاملها مع أول فتوحاتها على الإطلاق، فتح الفتوح، أو فتح مكة، عندما زف قائد الفتح رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، البشرى لعتاة الكفر والذين كانوا ينتظرون التنكيل بهم جراء ما حدث منهم فى محاولاتهم المستميتة لوأد دولة الإسلام فى مهدها، وكانت المفاجأة التى لخصت الميثاق النبوى للتعامل مع كل من يقع تحت راية الدولة الإسلامية أيا كان دينه أو عقيدته، '' أذهبوا فأنتم الطلقاء ''.

لم يلجأ الى القوة والثأر، بل تركهم لوثنيتهم، وهو ما فتح العقول للتفكير والتفكر فيما حدث، الإسلام ومنذ بدايته لا يريد أعدادا فقط، بل يريد أكثر عقولا وقلوبا مفكرة، وهو ما فتحوا به العالم مع قلة أعدادهم ومواردهم، وبخاصة فى فتراتهم الأولى، والأمثلة هنا كثيرة، ولهذا كان هذا النهج والمنهاج الذى سار عليه المسلمون، صعبا فى الفهم على كثير من أصحاب العقائد الأخرى فى البلاد المفتوحة أن يتوصلوا إليه، ومن ساعدته فطرته وفهمه فى الوصول إلى الهدف الحقيقى والمغزى الذى دخل به هؤلاء الفاتحين إلى البلاد المفتوحة، دخلوا أفواجا، وهو ما ساعد على التفوق العددى فى البلاد المفتوحة، فى مدة قصيرة، بالمقارنة بما حدث فى السابق مع كل الغزاة والفاتحين، فتجربة التعايش التى حملها المسلمون تجربة فريدة لم ولن تتكرر، فى تاريخ البشرية.

وأخيرا حول تلك النقطة أيضا، وللخروج منها نختم بهذا الرأى لأحد أهم المستشرقين المتخصصين فى التاريخ والحضارة الإسلامية فى الأندلس، وهو المستشرق الهولندى / رينهارت دوزى، حيث يقول:- '' لم تكن حال النصارى فى ظل المسلمين شديدة الوطأة، إذا هى قورنت بما كان عليه من قبل، وكان العرب شديدى التسامح فلم يضيقوا الخناق على أحد من الناحية الدينية ... ولم يجحد النصارى جميلهم، فكانوا راضين عنهم لتسامحهم واعتدالهم، وآثروا حكمهم على حكم القبائل الجرمانية والفرنجة، بل ويشير إلى رضاء القساوسة أنفسهم عن سلوك الفاتحين '' (6).

ذلك هو لب موضوع البحث، فما حدث من تعايش سلمى بين المسلمين والنصارى فى الأندلس، كان الفضل الأول فيه، الحكم الإسلامى الذى لم يفرق ولم يشرذم بين طوائف الشعب الواحد، بل عمل على تنمية المشترك بين الجميع، حيث نشره وحفزه، وكانت أحيانا تحدث هنات من أى من الأطراف، ولكن الدولة كانت تحاول أن تحتويها سريعا وبكافة الطرق، وهذا ما يحاول البحث أن يركز عليه من حدوث الاختلاط والاندماج والعيش فى سلام.

وبمقارنة بسيطة بين حالة إسبانيا قبل وبعد الفتح الإسلامى، نرى شتان بين الحالتين، وقد أفاض المؤرخون فى تلك النقطة على وجه التحديد، ولكن أضيف هنا، أن الثمانمائة عام التى قضاها المسلمون فى شبه الجزيرة الأيبيرية، وإذا أردنا أن نحصى الإحتكاكات التى حدثت بين العناصر المختلفة من السكان خلال تلك المدة الطويلة، تكاد لا تذكر، أمام ما حدث من فظائع فيما عرف تاريخيا، بمحاكم التفتيش، عقب سقوط الحكم الإسلامى، وتولى النصارى زمام الأمور فى الأندلس، وهو ما يطرح بشدة على بساط البحث طبيعة المسلمين المعمرين المحتوين لكل العناصر التى اندرجت تحت حكمهم ليس فى الأندلس فقط بل فى كافة أصقاع الأرض التى وصل إليها الإسلام والمسلمون.

فعقب الفتوحات الإسلامية مباشرة، والمقصود هنا فى الأندلس، وجد كلا الشعبين نفسيهما وجها لوجه، ولا بد من التعايش بين كلا الجانبين بكافة السبل، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن المسلمين كانت لهم سياسة واحدة فى التعامل مع الشعوب المغلوبة، هذه السياسة وضع أساسها الأول، الرسول صلى الله عليه وسلم، منذ الفتح الأول أو فتح الفتوح، والمقصود هنا فتح مكة سنة 8 هـ، وسار على نفس نهج تلك السياسة الخلفاء الراشدون من بعده، وكانت الركيزة الأولى لتلك السياسة التسامح الدينى، وعدم فرض الدين بالقوة، فاذا كانت مدرسة النبوة قد استعملت الرحمة واللين مع الوثنيين من أهل مكة، رغم الفظائع التى ارتكبوها لوأد الدعوة، فما بالنا فى التعامل مع أهل الكتاب فى بعض البلدان المفتوحة، ومنها إسبانيا القوطية، أو الأندلس الإسلامية بعد الفتح.

ولذلك عاشت الحضارة الإسلامية على أرض الأندلس ما يزيد على ثمانية قرون، شاركت فيها سكان إسبانيا المسيحيين والعناصر الأخرى أيضا حياتهم، حدث خلالها تعايشا كاملا، لم يخلو أحيانا من بعض المنغصات التى تحدث فى كل البلدان، ولكن الأهم هنا والذى يركز عليه البحث بصورة كبيرة مساحة التعايش السلمى والتبادل الحضارى، واستخراج أوجه التعاون بين الجانبين، فى كافة جوانب الحياة.

وقد كان طبيعيا أن يحدث اختلاط وتداخل بين الطرفين، حيث توحدت أساليب الحياة وأصبح الجميع يخضع لنظام واحد، علاوة على عادة المسلمين فى التعامل مع الشعوب المفتوحة،

وهو الإختلاط وعدم التقوقع فى أماكن خاصة بهم، كما كان وما زال يحدث مع بعض الشعوب الأخرى، كاليهود على سبيل المثال، فالمسلمين والعرب بطبيعتهم لا يتأففون من النقل والتطوير عن الحضارات السابقة لهم، وهو ما ميز الحضارة الإسلامية، وأطال من فترة ازدهارها ورقيها وريادتها فى قيادة العالم، وهذا الرأى أجمع عليه كثير من المؤرخين المنصفين من العرب والمستشرقين.

ولم يكن النقل عن الحضارات السابقة نقلا لمجرد النقل، وإنما كان للتنقيح والإضافة وحفظ تراث الأمم السابقة الذى أوشك أغلبه على الإندثار، علاوة على تطويع هذا النقل للشريعة الإسلامية والعادات والتقاليد العربية الأصيلة الراسخة، فكان هذا الامتزاج الواسع، الذى أفرز لنا هذا المزيج الفريد من المسلمين والإسبان النصارى وغيرهم تحت راية الدولة الإسلامية.

وقد تفرد هذا المزيج الشعبى، حيث لا ولم نصادفه أو نقرأ عنه فى طول صفحات التاريخ وعرضها، وهو الإلتزام بالتعاون والتعايش بين كافة الأطراف وأداء ما عليهم من واجبات والحصول على ما لهم من حقوق.

ولا ننسى هنا أيضا أن أول من وضع هذا المبدأ فى التعايش السلمى بين كافة عناصر المجتمع تحت راية الدولة الإسلامية، هو مؤسسها الرسول صلى الله عليه وسلم، عقب الهجرة مباشرة إلى مكة، ووضعه أول دستور فى الإسلام فيما عرف تاريخيا '' بالصحيفة '' والتى حددت الواجبات والحقوق بين كافة عناصر المجتمع، ومن ينظر بعين الإنصاف هنا من أهل الشعوب المفتوحة ويعطى للمسلمين حقهم فى قيادة تلك الشعوب، كان يريح ويستريح، ويأمن على نفسه وأهله وماله، أما من كان يغبنهم هذا الحق ويميل إلى التمرد ويحاول زعزعة الأمن والنظام، كان يجد التصدى اللازم، كما حدث مع القس القرطبى إيولوخيو السابق الذكر.

وقبل أن نتطرق إلى مفردات وأمثلة التعايش السلمى بين المسلمين والنصارى فى الأندلس، لا بد من الإشارة إلى أن الفاتحين المسلمين، ومع بدايات الفتح الإسلامى، كان طبيعيا والغلبة واليد العليا لهم، والإسبان كأمة مغلوبة كان طبيعيا، أن يتطلعوا إلى مهادنة الأمة الغالبة، والتى كانت برأى منصفيهم قديما وحديثا، أعلى حضارة وأرقى حياة، وأكثر تسامحا ممن تسلطوا عليهم وحكموهم من الأمم السابقة.

ونستشهد هنا برأى أحد أهم المستشرقين المعاصرين، وهو المستشرق الفرنسى جوستاف لوبون، الذى يقول:- '' لم يكد العرب يتمون فتح إسبانيا، حتى بدأوا يقومون برسالتهم المعهودة فى بناء مجتمع جديد، واستطاعوا فى أقل من قرن، أن يقيموا دولة فتية، وأن ينشئوا المدن والقرى،

ويقيموا أفخم المبانى، ويوطدوا وثيق الصلات التجارية بالدول الأخرى، ثم شرعوا يتنافسون فى تحصيل العلوم والآداب، وفى نقل كتب اليونان والرومان، إلى اللغة العربية، وينشئون المدارس والجامعات، التى كانت وحدها مصدرا للثقافة فى أوروبا كلها ‘‘(7).

وقبل أن أختم نقطة المقدمة لهذا البحث، أستشهد أيضا برأي لأستاذى الأستاذ الدكتور / أحمد مختار العبادى، حول موضوع البحث والتعايش السلمى بين المسلمين والنصارى فى الأندلس، هو من أفضل ما كتب حول هذا الموضوع، حيث لخص حقبة حكم المسلمين وطريقتهم وتعاملهم كأفضل ما يكون، حيث يقول ‘‘ إن الوجود العربى الإسلامى فى شبه الجزيرة الأيبيرية، لم يكن مجرد احتلال عسكرى، صعدت فيه الجيوش الإسلامية إلى أقصى الشمال، ثم هبطت إلى الجنوب مثل الترمومتر أو ميزان الحرارة، بل كان حدثا تاريخيا هاما، امتزجت فيه حضارات سابقة كالرومانية والقوطية، مع حضارة جديدة وافدة وهى الحضارة الإسلامية، ونتج عن هذا المزيج حضارة أندلسية مزدهرة، وصلت إلى الفكر الأوروبى المجاور وأثرت فيه، فقد تغلغل الفتح الإسلامى لإسبانيا، فى الحياة الإسبانية وترك فيها آثارا عميقة، ما زالت تتراءى لنا مظاهرها بوضوح إلى اليوم، فى اللغة والمجتمع، بل وبعض العادات والتقاليد، التى لم يستطع المجتمع الإسبانى رغم مرور تلك السنوات التخلص منها نهائيا (8).

وسوف نتناول أمثلة التعايش بين الطرفين على محورين أو جانبين، أولا الجانب الدينى (9)، ثم الجانب الإجتماعى.

أولا : الجانب الدينى.

نستهل هذا الجانب برأى مهم للمستشرق والمؤرخ الأمريكى / سكوت Scott، حيث يقول :- ‘‘ سمح المسلمون للنصرانى الورع المتعصب لدينه بمزاولة شعائره دون أدنى تدخل، بل أكثر من ذلك سمح للملحد أن يجهر بآرائه دون أن يخشى عاقبة ذلك، وسمحوا للأحبار والرهبان بأن يزاولون أمور دينهم فى سلام، وأن ما كتبه كتاب النصارى من قيام العرب باضطهاد النصارى، ووصفوهم بأفظع الأوصاف، كلها افتراءات ومبالغات لم تحدث، وما دفعهم لذلك تعصبهم الأعمى ضد المسلمين ‘‘(10).

والحقيقة أن ما يدعوا للعجب هنا، أن التسامح الدينى الذى أبداه المسلمون لأصحاب العقائد الأخرى وعلى رأسها النصارى، جاء هذا التسامح بعد قرون من الاضطهاد الدينى، عاشته الشعوب الأوربية، فيما عرف تاريخيا بفترة العصور الوسطى أو العصور المظلمة، فقد عانى النصارى على وجه التحديد الأمرين من سلطان وتسلط الكنيسة على عقائدهم.

وفى الجانب الدينى أيضا، نوضح دور الدولة الجديدة فى الحفاظ على نشر السلام بين طوائف المجتمع، ونستشهد هنا برأى واحد من أكثر المستشرقين الإسبان كرها وتعصبا بل وتحاملا على العرب والمسلمين، وهو المستشرق الإسبانى / فرانسسكو خافيير سيمونيت F, Simonet J,، فهو يقول لنا فى تلك النقطة على وجه التحديد: '' لقد احتفظ النصارى الإسبان فى ظل الحكم الإسلامى فى الأندلس، بنوع من الإستقلال الخاص بهم، حيث سمح لهم المسلمون بالإحتفاظ بأحوالهم القديمة دون تغيير، وبخاصة فى النواحى التشريعية، فقد احتفظوا بنظمهم الكهنوتية وقوانينهم الكنسية، بل أصبحت تحكمهم القوانين القوطية القديمة فى مسائل التقاضى بينهم، Fuero Juzgo, وكانت لهم حكومة محلية شبه مستقلة لإدارة شؤنهم (11).

ويضيف العلامة الإسبانى التاميرا Altamira، حول الجانب الدينى للنصارى فى ظل الدولة الاسلامية فى الأندلس، ويقول '' احتفظ غالبية الشعب الإسبانى ممن بقوا على عقيدتهم فى ظل الدولة الإسلامية فى الأندلس، برؤسائهم من رجال الدين، من الأقماط أو الكونتات، وذلك فى القضاء وأسقفية الكنائس، ولم يفرض ولاة الأندلس عليهم سوى الضرائب الشرعية '' (12).

والمقصود هنا بالضرائب الشرعية، الجزية، والتى كانت تمثل مبلغا زهيدا بالقياس بما كانت تجبيه الدول التى حكمت إسبانيا قبل الفتح الإسلامى، وذلك نظير الحماية والأمان، وتدبير موارد الدولة. والعجيب فى هذا الجانب أن المسلمين استطاعوا أن يبذلوا جهدا فى لم شمل البلاد المفتوحة تحت راية الدولة الاسلامية، بيد أنهم فشلوا هم أنفسهم فى القضاء على القبلية والعصبية فيما بينهم كمسلمين، وهو ما ظهر جليا فى الأندلس وغيرها من البلاد المفتوحة، وتلك الصراعات القبلية فى الأندلس على وجه التحديد كانت من أهم أسباب الضعف بل والسقوط لاحقا.

فرغم أن دولة الإسلام الأولى التى أسسها النبى صلى الله عليه وسلم، كان الأساس الأول فيها المؤاخاة بين كافة طوائف المجتمع والقضاء على الصراعات والضغائن والقبلية، ولكن للأسف الشديد لم يستطع العرب بعد فترة وجيزة من قيام دولتهم الأولى التخلص من هذا الإرث الثقيل، الذى كان ومازال يثقل كاهل المسلمين فى كافة أرجاء المعمورة.

ويعتبر إيزيدور الباجى Esidore de Las Cagigas، أفضل من كتب فى هذا الموضوع، فى كتابه المستعربون Los Mozarabes، حيث يقول: لقد جعل المسلمون لنصارى الأندلس، نظاما دينيا خاصا بهم، فى ظل الدولة الإسلامية، وهو أن يشرف رجال الدين النصارى على بنى جلدتهم، فكان لهم ثلاث إبراشيات، فى مدن طليطلة Toledo، وإشبيلية Sivlla، وماردة Mareda، وكان لهم ثمانى عشرة أسقفية، أما الأديرة فكان عددها كثير جدا، إذ إحتوت مدينة قرطبة

Cordoba، عاصمة الإمارة والخلافة للدولة الأموية وحدها، على أكثر من خمسة عشر ديرا (13).

ويتبين لنا من خلال هذا الإحصاء الدقيق الذى أورده إيزيدور الباجى، لعدد دور العبادة الخاصة بالنصارى فى ظل الدولة الإسلامية فى الأندلس، أنها أعداد كبيرة جدا بالقياس بعدد السكان فى ذلك التوقيت، ومما لا يعطى مجالا للشك فى الحرية الدينية الواسعة بل والمطلقة التى مارسها النصارى تحت راية الدولة الإسلامية فى الأندلس.

ويضيف ايزيدور الباجى فى تعقيب أخر، ويقول '' لقد ترك المسلمون للنصارى، حريات واسعة فى التصرف فى كافة شؤنهم السياسية، والدينية، والقضائية (14).

وكان من أهم مظاهر الحرية الدينية التى حظى بها النصارى تحت حكم الدولة الإسلامية، وجود لغة خاصة بهم، وهى اللغة القوطية، وهى من اللغات الجرمانية المندثرة، وهى لغة معروفة فى المقام الأول ـ بالإنجيل الفضى ـ وكان المسلمون لا يعرفون هذه اللغة، وجعل المسلمون للنصارى قضاة خاصين بهم، يحكمون بينهم بموجب التشريعات والقانون القوطى القديم، والذى كان يحكمهم قبل وبعد دخول المسلمون إلى الأندلس، وكان يطلق على قاضيهم لقب (قاضى النصارى)، أو (قاضى العجم)، أما حاكم النصارى فقد كان يطلق عليه لقب القمص (15).

ونتحدث الآن عن إشكالية كبيرة، ربما لم تحدث فى الأندلس الإسلامية فقط، بل دار حولها جدل كبير فى معظم البلاد المفتوحة التى خضعت للحكم الإسلامى، وهى مسألة تحويل المسلمون للعديد من الكنائس إلى مساجد جامعة، وقد كان النهج الذى انتهجه المسلمون فى كافة الدول التى فتحوها، هو البداية بتخطيط المسجد الجامع فى كل المدن التى استحدثوها أو طوروها بما يتناسب مع أسلوب العمارة الإسلامية الخاصة بهم، والخلاصة، كانوا أحيانا يجعلون من الكنائس مساجد، وذلك لعدة أسباب ، أهمها أن تكون تلك الكنيسة تمثل قلب المدينة، أو أن يكون هذا المكان قد دخل جل أهله فى الإسلام، وكانوا أحيانا يقتسمون الكنائس بين الذين دخلوا فى الإسلام، وبين الذين ظلوا على مسيحيتهم، وقد تم أيضا هدم بعض الكنائس التى كان يتخذها بعض النصارى المتطرفين مركزا وحصونا لحرب المسلمين والخروج عليهم، ولكن فى الغالب وكما سبق أن ذكرنا من خلال الأعداد الكبيرة لدور العبادة المسيحية، كانوا يسمحون للنصارى ببناء الكنائس، إما تعويضا لهم عن كنائسهم، التى دخلت فى حوزة المسلمين، وتحولت إلى مساجد، أو لرغبة النصارى فى بناء دور لهم (16).

ويذكر صاحب أخبار مجموعة: أن هناك الكثير من القوط الذين دخلوا فى الإسلام بغية منافع شخصية، ثم ما لبثوا أن ارتدوا عنه، بعد أن غزتهم الممالك المسيحية من الشمال وعادوا إلى ما كانوا عليه (17). وهو ما يوضح أن عملية التنصير لمن دخلوا فى الإسلام طواعية، بدأت منذ وقت مبكر من دخول المسلمون إلى شبه الجزيرة الأيبيرية، وبخاصة فى الشمال فى الأماكن الوعرة والأكثر قربا للممالك المسيحية الناشئة.

ولا نستطيع أن نغلق هذا الجانب الدينى دون التطرق إلى عنصر أخر كان له دور مهم فى تشكيل وجه الحياة فى الأندلس الإسلامية من حيث الوجود والتأثير، ونقصد هنا اليهود، فهم كانوا وما زالوا لهم تأثير كبير تحت أى مظلة عاشوا تحتها، وما زال يتراءى لنا هذا الدور لهم إلى اليوم ، ورغم قلة أعدادهم بالقياس للمسلمين والنصارى، إلا أن تأثيرهم كان كبيرا سواء فى ظل الدولة القوطية، أو فى ظل الدولة الإسلامية، ولإبراز وضعهم فى ظل الدولة الإسلامية، لا بد من تناول وضعهم قبل الفتوحات الإسلامية.

وكعادتهم فى كل البلدان التى عاشوا فيها، كانوا يمثلون جماعات مترابطة فى أحياء خاصة بهم، وقد استوطنوا شبه الجزيرة الأيبيرية منذ زمن بعيد، وذلك فى أعقاب الإضطهادات التى تعرضوا لها على أيدى الرومان فى الشرق (18). فنزحوا أفرادا وجماعات هربا إلى الغرب، وكعادتهم أيضا حيث يختارون أفضل الأماكن للإقامة، ولم يكن هناك أفضل من عاصمة القوط مدينة طليطلة، وكذلك المناطق الجنوبية المطلة على البحر المتوسط، وامتلكوا الأراضى الشاسعة، والضياع، وتمكنوا من تحقيق أرباحا طائلة، وتحكموا كدأبهم فى الحياة الإقتصادية (19).

وكان نتيجة هذا التوغل فى الحياة الإقتصادية، بداية الصدام لهم مع السلطة القوطية الحاكمة، حيث قرر مجمع طليطلة الثالث، حرمان اليهود من الوظائف العامة، وحرمانهم أيضا من امتلاك العبيد ممن يدينون بالنصرانية، وتم تعميد وتنصير أطفالهم قسريا، وبخاصة ممن كانت أمهاتهم نصرانيات (20).

وفى سنة 613م، صدر مرسوما أخر ضد اليهود، وكان بمثابة إنذار أخير موجه لهم، مفاده تعميد اليهود كلهم خلال عام واحد من صدور المرسوم، ومن لم يلتزم وينصاع، يتم مصادرة أملاكه، ونفيه خارج البلاد (21). ويتضح من لهجة وتحذير هذا المرسوم ، أنه صدر بغية الحد من التوغل الإقتصادى واستحواذهم على مقدرات البلاد الإقتصادية، حتى وإن كان يحمل الصبغة الدينية.

وتواصل التضييق ضد اليهود فى الجوانب العقائدية والإقتصادية، وتعرضوا لضربات قاسية من السخرية، والأذى الجسدى، مما دفع العديد منهم إلى بيع ممتلكاتهم والفرار إلى خارج البلاد (22).

وكان من الطبيعى أن يتوجه اليهود إلى أقرب مكان من شبه الجزيرة الأيبيرية ، وهى بلاد المغرب، وهذا ما يفسر تواجدهم وبكثرة فى تلك البلاد وإلى الأن، وهى نفس البلاد التى استقبلت النازحين المسلمين الفارين بدينهم من بطش السلطات النصرانية عقب سقوط الأندلس، وتعرضهم لأفظع أنواع التنكيل، فيما عرف تاريخيا، بمحاكم التفتيش.

أما فى ظل الحكم الإسلامى، فقد كان اليهود من أكثر العناصر التى استفادت من الفتح الإسلامى، حيث سمح لهم المسلمون، بالعودة إلى نشاطهم الإقتصادى الذى حرموا منه فى ظل دولة القوط، وأصبحوا كغيرهم من مكونات المجتمع أمنين على أنفسهم وأولادهم وأموالهم، وأصبحو يمتلكون الأراضى والضياع والعبيد، التى حرمت عليهم دولة القوط امتلاكهم، علاوة على عمل الكثيرون منهم فى الحياة العامة، فقد تبوأو المناصب العلمية، ونبغ الكثيرون منهم فى مجال الطب والفلسفة والأدب، وكذلك المناصب الإدارية والسياسية (23). ويذكر أن المسلمين كافاؤهم لدورهم المساند والمدعم لهم أثناء الفتح الإسلامى.

ونختتم هذا الجانب، بتوضيح تلك الفتنة التى اجتاحت الأندلس، والتى أطلق عليها تاريخيا '' فتنة المستعربين '' أو'' حركة الإستشهاد المسيحى ''، والتى التزمت فيها المصادر الإسلامية الصمت التام، وكل ما وصلنا عنها استقيناه من المصادر الأوربية ، فى محاولة للتوازن فى عرض الموضوع.

فلم يكن ولم ندعى أن المجتمع الأندلسى كان مجتمعا ملائكيا فى ظل الدولة الإسلامية، وإنما كان مجتمعا ككل المجتمعات من الممكن أن تجتاحة الفتن والثورات، ولكن تلك الفتنة كانت من المتطرفين النصارى، ورغم ما ذكرناه من مهادنة وسلام قدمت لهم من جانب المسلمين، حكاما وشعبا، إلا أن التطرف أطل برأسه، فى فتنة جامحة اجتاحت الأندلس بداية من عصر الأمير عبدالرحمن الأوسط (24).

ولن نتطرق إلى أحداث الفتنة نفسها، حيث أن أحداثها معروفة، وتم الكتابة فيها بشكل مفصل، ولكن ما يهمنا فيها الجانب الدينى الذى هدد التعايش السلمى بين الطرفين، والذى أدى إلى هذه الفتنة، ويعلق الأستاذ محمد عبدالله عنان / فى معرض حديثه عن وضع النصارى تحت الحكم الاسلامى للدولة الأموية قائلا :- '' لم يك فى نظم الحكم الإسلامى، ما يقصد إلى إيزاء

النصارى المستظلين بلوائه، ولم تشذ حكومة قرطبة عن سياسة التسامح الإسلامى المأثور، ولم تحاول تدخلا فى شئون النصارى الدينية أو تعرضا لعقائدهم أو شعائرهم، والاحتكام إلى شرائعهم وقضاتهم، وكثيرا ما تبوأوا مناصب الثقة والمسؤلية فى الجيش وفى الإدارة، وكثيرا ما حاربوا مع إخوانهم المسلمين جنبا إلى جنب، وكانت أغلبية كثيرة منهم تشتغل بالتجارة فى الثغور والمدن، ويشتغل عامتهم فى ضياع المسلمين دون إكراه ولا عنت، بل كثيرا ما بهرتهم الفصاحة العربية فانطلقت بها السنتهم، ووضعوا بها كتبهم، وكثيرا ما تخلقوا بأخلاق المسلمين وعاداتهم، ونهجوا نهجهم فى الحياة الخاصة '' (25).

وهذا هو الجانب الذى يحاول البحث أن يركز عليه، وهو وجود مشتركات كثيرة تجمع ولا تفرق بين الطرفين، ولكن أين المجتمع المتعدد الأعراق الذى يمكن أن يحقق السلام الكامل لجميع الأطراف ؟، مهما قدم من عدالة.

وقد وصلت الأندلس إلى هذا المنعطف الدينى، نتيجة تعصب ثلة من النصارى المتطرفين، والذين رأوا فى المسلمين مجرد غاصبين لوطنهم وأرضهم وضياعهم، وهؤلاء لم يحقدوا على المسلمين فقط، بل حقدوا على بنى جلدتهم الذين إطمأنوا للحياة تحت ظل الدولة الإسلامية، وللأسف الشديد كان أكثر هؤلاء تعصبا هم رجال الدين، فهم الذين بدأوا ببذر بذور الفتنة والشقاق بين طوائف المجتمع، وبخاصة المسلمين والنصارى، ووصل بهم التطاول والتطرف، إلى المجاهرة بهذا البغض، وتطور إلى سب النبى صلى الله عليه وسلم، وهو ما أزعج المسلمين، وكان ما كان من تلك الفتنة التى أرقت السلم فى الأندلس سنوات طويلة.

والحقيقة أن هذا التعصب ما زال ممتدا حتى عصرنا الحديث، وبخاصة من بعض المستشرقين الذين تحاملوا على الحكم الإسلامى فى الأندلس، وما زالوا يبررون موقف هؤلاء الغلاة دون أدنى معرفة بسياسة التسامح التى لم تتبع فى الأندلس الإسلامية فقط، بل فى كل أرض وصل إليها الإسلام فى جميع أنحاء المعمورة.

ومن أشد هؤلاء الغلاة المستشرق الهولندى رينهارت دوزى Dozy . R، حيث يقول عن النصارى المعتدلين الذين اندمجوا فى المجتمع '' لقد استسهلوا واستيسروا، وهم يعيشون بين المسلمين، ولم يحاولوا الوقوف على الحقيقة، ورفضوا أن يعودوا إلى مصادرهم المسيحية، وكانوا فرحين بمعتقدات المسلمين، وخرافاتهم البغيضة التى ينشرونها حول نبى مكة'' (26).

ونختم هذا الجانب بهذا الإعتراف لأكثر المستشرقين تعصبا ضد الإسلام والمسلمين فى الأندلس، حول هذه الفتنة، وهو المستشرق الإسبانى سيمونت Simonet، فى كتابه '' تاريخ

النصارى المستعربين ‘‘، Los Mozarabes, حيث يقول :- ‘‘ احتفظ الاسلام بقدر من التسامح نحو المستعربين لمدة قرن كامل، وقت أن كان فى حاجة إلى خدماتهم، ومعاونتهم، ثم تبدل الوضع إلى الاضطهاد مع تنامى الروح النصرانية تحت الحكم الإسلامى ‘‘. ورغم نبرة التعصب التى تطل من مقولة سيمونيت، إلا أنه لم ينكر روح التسامح لمدة قرن كامل فى بداية الحكم الإسلامى للأندلس (27).

ونضيف هنا هل كان ينتظر سيمونت، أن يهان نبى الإسلام، ولا يحدث أى موقف لوقف هذا التجرأ من قبل المتعصبين الذين لم يحتذوا حذوا المسلمين فى تكريم وتبجيل بل وعدم إكتمال دينهم إلا بالإيمان بنبى المسيحية وكل الأنبياء.

ولم يقف الأمير عبدالرحمن الأوسط، الذى تفجرت هذه الفتنة فى عصره، مكتوف الأيدى أمام هذا الموقف الذى عكر السلم الدينى فى الأندلس، بل هب إلى عقد مجلس من كبار الأساقفة ورجال الدين النصارى، فى عاصمة الإمارة على عهده مدينة قرطبة، ترأس هذا المجلس ريكافرد مطران إشبيلية، وأوفد الأمير عبدالرحمن الأوسط ممثلا له فى هذا المجلس، وهو أحد النصارى ممن أعتنقوا الإسلام فيما بعد، وهو قومس بن أنتنيان (28). وقد خبت الفتنة تدريجيا فيما بعد، إلى أن انتهت بصورة نهائية فى عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن 207 – 273 هـ / 823 – 886 م.

ثانيا : الجانب الإجتماعى.

عقب الفتح الإسلامى لشبه الجزيرة الأيبيرية، استقر المسلمون من عرب وبربر فى مختلف أنحاء شبه الجزيرة، وذلك إلى جانب سكانها الأصليين وهم القوط، هذا إلى جانب بعض العناصر الأخرى من الرومان والفرنجة واليهود من ساكنى البلاد أيضا، وقد أطلق المسلمون على جميع تلك العناصر إسم النصارى، لأنهم اختاروا البقاء على المسيحية، ولم يفرق العرب بينهم فى العرقيات أو الأديان، وكذلك أطلقوا عليهم لقبا أخرا وهو المعاهدين، لأنهم تعاهدوا مع المسلمين على الصلح والعيش معا فى سلام منذ زمن الفتح (29). من هذا المنطلق أخذت الدولة الإسلامية الحاكمة ومنذ البداية، تأمين العيش فى سلام لكافة طوائف المجتمع.

وقد بدأت أولى خطوات التعايش السلمى بين كافة طوائف المجتمع وعلى رأسهم المسلمون والنصارى، عن طريق الاندماج فيما عرف تاريخيا بعادة الزواج المختلط (30)، وما نتج عنها من ظهور عنصر جديد ولد وعاش على أرض الأندلس، وهم طبقة المولدين (31).

وقد ظهرت أول مظاهر الاندماج والتعايش فى الإحتفالات، والأعياد، حيث كانت الأعياد فى الأندلس كثيرة، وعلى رأسها أهم عيدين للمسلمين، وهم عيدى الفطر والأضحى، هذا علاوة على الأعياد التى استحدثت من كلا الطرفين، وكان الاحتفال بالمولد النبوى الشريف من أهم الأعياد الدينية التى تلقى إهتماما واسعا فى الأندلس يحضرها الرجال والنساء والأطفال هذا عن الأعياد الدينية، أما ما يمكن أن نطلق عليه الأعياد الوطنية، والتى كان يشارك فيها كل أهل الأندلس مجتمعين من رجال ونساء، مسلمين ونصارى، ومثالا لذلك عيد العصير، وهو موسم جنى محصول العنب، الذى يتم فى جو من الغناء والمرح والرقص أيضا، وكانوا يرتدون فى هذا اليوم أجمل وأبهى ثيابهم (32).

ويذكر الأستاذ الدكتور / أحمد مختار العبادى فى بحثه القيم الإسلام فى أرض الأندلس، أن المسلمين كانوا يشاركون النصارى فى أعيادهم، والثابت تاريخيا أن المسلمين شاركوا النصارى المعاهدين والمستعربين، الذين عاشوا فى ظل الحكم الإسلامى فى الأندلس أعيادهم واحتفالاتهم، وهذا من أكبر دلائل سياسة التسامح التى اتبعها المسلمون تجاه أهل الذمة فى الأندلس (33).

وقد كان يحتفل المسلمون والنصارى، بالأعياد المسيحية، وبخاصة لأن أعياد النصارى معروف وقتها مسبقا، فهى منتظمة طبقا للتقويم الميلادى، تأتى دائما فى نفس الوقت من العام، لها ميعاد ثابت، عكس الأعياد الإسلامية التى لا ترتبط بتوقيت معين من السنة، ومن أهم هذه الأعياد المسيحية التى كان يتشارك فى الإحتفال بها جل الشعب الأندلسى، عيد الميلاد، أى مولد سيدنا عيسى عليه السلام، وخميس إبريل أو خميس العهد (34).

ومن الأعياد القومية أيضا في الأندلس عيد العنصرة (35)، أو عيد المهرجان، وكان يطلق عليه أيضا عيد سان خوان (مولد سيدنا يحي بن زكريا عليهما السلام)، وهو فى الأصل من الأعياد الفارسية التى استحسنها أهل الأندلس (36)، من المسلمين والنصارى واحتفلوا به وكان موعد الإحتفال به فى الأندلس في الرابع والعشرين من شهر يونية، وطقوس الإحتفال كانت عبارة عن إشعال نار كبيرة، وإيقاد بعض الشموع، وكان المسلمون يذهبون لمشاهدة تلك المناظر، بل ومشاركة النصارى فى احتفالاتهم (37).

وقد بدأ التعايش السلمى بين الطرفين منذ عصر الإمارة وتجلى بصورة واضحة فى اتخاذ المسلمين يوم الأحد يوم عطلة رسمية مشاركين بذلك النصارى والمعاهدين والمستعربين وغيرهم، ورغم معرفتنا جميعا بأن يوم الجمعة هو يوم المسلمين، ولكن لم يتأفف المسلمون من اتخاذ يوم الأحد، والأعجب من ذلك أن أول من سن هذا التقليد كان كاتب الأمير محمد بن عبدالرحمن الأوسط (238 – 273 هـ) – (852 – 886 م)، ولم ينكر عليه الأمير الأموى، ولا عامة

الشعب هذا التقليد، بل ظل معمولا به بين أهل الأندلس حتى فى عهد المنصور بن أبى عامر (328 – 392 هـ) – (940 – 1002 م)، وظل كذلك متبعا خلال عصر الطوائف (38)، ولم يتم التخلى عنه والغاؤه إلا مع دخول المرابطين إلى الأندلس.

ويذكر العزفى فى كتابه الدر المنتظم، قائلا : إن أبرز مظاهر التعايش بين الطرفين، وضح فى الإحتفال بالمناسبات الخاصة بكل فريق، فقد كان مسلمى الأندلس يحرصون على شراء الفاكهة وأنواع معينة من الحلوى والأطعمة، بل ويتبادلون الهدايا، وذلك فى مناسبة الإحتفال بعيد ميلاد السيد المسيح عليه السلام، ويضيف بأن انتشار هذه العادة بسبب ما اعتقده أهل الأندلس، وبخاصة المسلمين، بأن من يحتفل بهذا اليوم يكون عامه الجديد، ملىء برغد العيش، وسعة الرزق وبلوغ الأمل (39).

والحقيقة، لا غرابة فى اعتقاد أهل الأندلس، فما زلنا إلى اليوم فى مصر نرى كثيرا من تلك المشاركات بين المسلمين والنصارى، ومن عجيب تلك المشاركات، هى نفس المعتقدات التى اعتقدها أهل الأندلس منذ مئات السنين، مازال يعتقدها بعض من مسلمى مصر بزيارة الأماكن المقدسة للنصارى، وخاصة فى صعيد مصر، وقد انتشرت تلك المعتقدات بصورة كبيرة فى الفئات رقيقة الحال على وجه التحديد.

ويعلل العزفى فى كتابه المذكور، مشاركة المسلمين للنصارى فى أعيادهم، بسبب حسن الجوار، ومخالطتهم للنصارى فى التجارة، وعلاقات المودة والتسامح التى سادت بين الطرفين (40)، ويضيف سببا آخر به الكثير من الطرافة، وهو ضغط نساء الأندلس المسلمات على أزواجهن فى التفخيم والاستعداد للإحتفال بتلك المناسبات، وتقديم الاستعدادات الخاصة بها، وفى النهاية، رضوخ الرجال لمطالب النساء، حتى أصبحت هذه العادات راسخة ومتجذرة فى المجتمع الأندلسى لدى بعض المسلمين (41).

ونضيف هنا، بأن العزفى، نسى أو تناسى أن معظم نساء الأندلس المسلمات تعود جذورهن الأولى إلى العنصر القوطى المسيحى، ورغم دخول معظمهن فى الإسلام بزواجهن من رجال المسلمين الفاتحين، ورغم حسن إسلام معظمهن، الا أن العادات والتقاليد الدينية والإجتماعية كانت بمكانة منهن حتى يصعب التخلى عنها بسهولة.

ولم يكن هذا السلام الإجتماعى والعيش المشترك، يمر دائما بسلام ورضا من بعض فئات المجتمع، وبخاصة من بعض المؤرخين الذين أنكروا على المسلمين تلك السماحة فى مشاركة النصارى فى مناسباتهم وأعيادهم، بل واعتبروها من البدع، وعلى رأس هؤلاء الرافضين المؤرخ

والفقيه الأندلسى / أبو بكر الطرطوشى، فى كتابه الحوادث والبدع، حيث يقول :- '' ومن البدع اجتماع النساء بأرض الأندلس على ابتياع الحلوى ليلة سبع وعشرين من رمضان (أى ليلة القدر)، وكذلك على إقامة يناير، (أى رأس السنة الميلادية) بابتياع الفواكه كالعجم، (ويقصد نصارى الأندلس)، وإقامة العنصرة، وخميس إبريل، بشراء المجبنات (42)، والإسفنج وهى من الأطعمة المبتدعة، وخروج الرجال جميعا أو أشتاتا مع النساء مختلطين للتفرج، وكذلك يفعلون فى أيام العيد ويخرجون للمصلى، ويقيمون فى الخيم للتفرج، لا للصلاة، ودخول الحمام للنساء مع الكتابيات (أى أهل الكتاب من النصارى واليهود)، بغير مئزر، والمسلمين مع الكفار فى الحمام، والحمام من البدع ومن النعيم '' (43).

ورغم هذا النقد اللاذع واعتراض الفقيه والمؤرخ الأندلسى/ الطرطوشى على ذلك التعايش بين المسلمين والنصارى وغيرهم، والذى وصل الأمر فيه إلى حد اعتبار الإحتفال بالمناسبات الدينية الإسلامية والمسيحية ضربا من البدع، لم يكترث الأندلسيون بذلك، وساروا على نهجهم فى الإحتفال والمشاركة فى كل المناسبات، فقد غلب على هذه الاحتفالات الطابع القومى، أى صارت أعيادا قومية يشارك فيها كافة طوائف الشعب، أكثر من كونها أعياد دينية، أو مناسبات إجتماعية، والذى يتابع الإحتفالات والأعياد الإسبانية فى وقتنا الحالى، لا يرى فرقا كبيرا، مما حملته لنا كتب التاريخ قديما.

ولم يقتصر هذا التعايش السلمى على عصر بعينه من عصور الأندلس، بل ظل إلى أخر حكم المسلمين فى الأندلس، حيث لم تتغير سياسة التسامح والعيش فى سلام، من جانب المسلمين سواء فى ذروة قوتهم فى عصرى الإمارة والخلافة، أو فى عصور الضعف اللاحقة، والتى انتهت بأخر عصر أندلسى، وهو عصر مملكة غرناطة.

وندلل على ذلك بهذا النص للمستشرقة الفرنسية المؤرخة / راشيل آريية Rachil Arie، عن الإحتفالات الغرناطية لشعب غرناطة زمن المسلمين، فتقول : '' إن الإحتفالات الغرناطية كانت زمن المسلمين، تستغرق وقتا طويلا من الليل، فالساهرون فى شوارع غرناطة، كانوا يتجمعون متجمهرين يتجولون فى طرقاتها، يتراشون بالماء المعطر، ويتقاذفون بثمار البرتقال والليمون وباقات الأزهار، وكان غنائهم وضجيجهم يزعج النساك فى مضاجعهم، ممن يسهرون للخلوة والتعبد '' (44).

وما أشبه الليلة بالبارحة، فما كان يفعله الأجداد من تقاذف للمياة والأزهار، يفعله الأحفاد أيضا فى مناسبة عالمية من أهم مناسبات إسبانيا الحاضرة، وهى التقاذف بثمار الطماطم، وهذه الإحتفالية السنوية تلاقى العديد من التنديد والإنكار من بعض المنظمات الرافضة لإهدار هذا الكم

الهائل من تلك الثمار، التى يمكن أن تستفيد بها بعض البلاد الفقيرة، ولكن السير على درب الأجداد صوته يعلو على صوت تلك الأصوات المنددة.

ويعتبر الجانب الفنى، وهو أحد أهم الجوانب الإجتماعية، من أكثر الجوانب التى تبرز التعايش السلمى بين الشعوب إلى اليوم، وقد برز هذا الجانب بصورة كبيرة فى التعايش بين الجانبين، مما حذا بالمستشرق الفرنسى / ليفى بروفنسال أن يقول : '' يخيل إلينا أن الراقصات الأندلسيات اللاتى نراهن اليوم ينشرن فى الآفاق الأدوار الغنائية المعروفة بإشبيلية، ومالقة ورندة ... وغيرها من مدن الأندلس، على دقات الصنوج، ما هن إلا سليلات لفتيات قادس (45) واللاتى استطعن أن يحملن برقصهن وصلصلة صنوجهن الأغانى العذبة الأندلسية إلى أفاق بعيدة (46).

بل وصل الأمر إلى ميل نصارى الشمال الأندلسى، إلى أغانى العرب وموسيقاهم، والأكثر من هذا ورغم الخلاف السياسى والحربى بين المسلمين ونصارى الشمال، لم يمنع هذا الكثير من المغنيين والموسيقيين المسلمين من الذهاب إلى الممالك المسيحية فى الشمال الأندلسى، حيث ممالك نبرة وقشتالة وليون وأراجون، ولكن حدث هذا فى العصور المتأخرة بدأ من عصر الطوائف، وبعد سقوط الدولة الأموية، حيث تهافت ملوك الشمال النصرانى على كل ما له صلة بالثقافة العربية الإسلامية، وبصفة خاصة مجال الشعر والغناء والموسيقى (47).

أما فى إسبانيا الإسلامية، فقد كان للأندلسيين المسلمين فضلا كبيرا فى انتشار الفن والموسيقى الأندلسية بين كافة طوائف الشعب الأندلسى، حيث يذكر ترند :- أن العادات الإسلامية الموسيقية، مازالت موجودة تعيش إلى اليوم فى إسبانيا وأوروبا، مثال ذلك طريقة العزف المعروفة بإسم Zambra (48). وهى تعنى بالعربية (زمرة)، وكذلك كلمة Zaeta, وهى تعنى الصبيت، وهى تطلق على المغنى بمفرده فى أعياد الميلاد المسيحية، وأيضا سلوك السامعين عند طربهم من سماع الغناء والموسيقى، حيث لم يتغير، وذلك عندما يقاطعون العازف أو المطرب، معلنين إعجابهم، بكلمة إسبانية شهيرة مازالت تستعمل إلى اليوم وهى Ole, Ole، (وهى تعنى الله الله)، وأيضا كلمة ياليل LeLi, LeLi (49). وغيرها من الكلمات التى دلت على تعايش الجميع واندماجهم فى سماع موسيقى أندلسية واحدة.

هذا وقد أدى هذا التعايش والتذوق للموسيقى الأندلسية، إلى ظهور تأثيرها الواضح على ما عرف بشعر التروبادور (50)، والتروفير والشعراء الأوربيين المنشدين المعروفين فى اللغة القشتالية باسم Las Jughares (51). وهو ما يؤرخ به لبداية النهضة العلمية والثقافية فى العصور الوسطى لأوروبا.

أما التعايش الأكبر فى المجال الموسيقى والفنى، كان فيما نقله الصقالبة (52)، من الموسيقى الخاصة بالنصارى والرهبان المسيحيين، فقد نقلوا عنهم تراتيلهم الموسيقية التى كانوا يؤدونها فى كنائسهم، فقد أورد الطرطوشى من خلال كتابه الحوادث والبدع، نصا عن الألحان والرقصات الخاصة بالصقالبة، بأنه كان لهم ألحانا خاصة بهم، ويقول :- '' ثم جعلوا لكل لحن منها اسما مخترعا فقالوا : اللحن الصقلبى، فإذا قرأوا قوله تعالى : وإذا قيل إن وعد الله حق '' (53)، يرقصون من هذه الأية الكريمة كرقص الصقالبة بأرجلها، وفيها الخلاخيل – الجلاجل – ويصفقون بأيديهم على إيقاع الأرجل، ويرجعون الأصوات بما يشبه تصفيق الأيدى، ورقص الأرجل، وكل ذلك على نغمات متوازنة (54).

إلى هذا الحد اختلطت الطقوس الدينية لدى الأندلسيين، ووصل الأمر بالصقالبة إلى أنهم نظروا إلى كل موضع فى القرآن الكريم، يأتى فيه ذكر النبى عيسى بن مريم عليهما السلام، كقوله تعالى '' إنما المسيح عيسى بن مريم '' (55)، وقوله تعالى '' وإذ قال الله يا عيسى بن مريم '' (56)، فيمثلون أصواتهم فى قراءة القرآن الكريم على أصوات النصارى، والرهبان والأساقفة، فى الكنائس بإيقاعات راقصة (57).

ورغم تحفظنا على الطريقة التى استخدمها الصقالبة فى قراءة القرآن الكريم، والتى دخلتها الألحان والموسيقى، تأثرا بالتراتيل والألحان التى كان وما زال يترنم بها القساوسة المسيحيين فى كنائسهم، والتى لا تتوافق مع جلال وعظمة قراءة القرآن الكريم، والتى لم تتكرر بهذه الطريق إلا على أرض الأندلس، ولكن ندلل بها على مدى الإختلاط والتعايش، بين عناصر الشعب الأندلسى، والذى لم يستطع أن يفرق بين ما يجوز ومالا يجوز، فى تلك الأمور. وهى من الأشياء التى عدها الطرطوشى من البدع، وهو محق هنا، حيث يقول : هذه البدع من الألحان والرقصات التى استحدثت والتى فشت بصورة كبيرة، حتى إن الجوارى كن يتعلمن قراءة القرآن بالألحان والموسيقى ويتعلمن ذلك كما يتعلمن غناءهن للقصائد والأشعار، ويتعجب بشدة متسائلا : '' هل هذه القراءة هى التى يقرأها الرسول صلى الله علية وسلم (58).

ويضيف أستاذى الدكتور/ أحمد مختار العبادى، أن هذا التأثير حول الحان الصقالبة، والذى لا يزال يعيش إلى اليوم، ربما كانت هذه الألحان هى الإرهاصات الأولى لم يعرف اليوم بالرقص الإسبانى الحديث المعروف بالفلامنكو Flamenco (59)، وأن رقصات الفلامنكو الإسبانية الحديثة ما هى إلا طورا من أطوار الموسيقى والرقصات الإسبانية الأندلسية (60).

وإذا ما انتقلنا إلى نقطة أخرى فى الجانب الإجتماعى، وهى النقطة الخاصة بالزى، وهو يمثل جانبا مهما فى إظهار الفروق بين الطبقات فى الشعب الواحد إلى يومنا هذا، والحقيقة لم

يؤثر عن الأندلسيين، أنهم فرقوا فى الزى بين فئات المجتمع، كما حدث فى العديد من البلدان الاسلامية، وبخاصة فى عصرى الإمارة والخلافة، حيث كان الحكام فى بعض البلدان الإسلامية يلجأون أحيانا إلى تمييز أهل الذمة على وجه التحديد من النصارى واليهود بلباس معين.

أما فى الأندلس فلم تظهر هذه العادة، فقد كان التداخل الحضارى بين كلا الجانبين واضحا فى استخدام نفس الأشياء من الأقمشة والأثاث وأدوات الزينة والحلى، ووصل الأمر إلى أن وصل هذا التقليد والتعايش حتى بين شمال إسبانيا النصرانى وبين المسلمين فى الجنوب (61)، وذلك رغم العداء السياسى التاريخى بين الطرفين، بيد أن مفردات الحضارة الإسلامية، فرضت نفسها على كل أنحاء شبه الجزيرة الأيبيرية.

ورغم أن المسلمين دخلوا إلى الأندلس، بأزيائهم التقليدية المعروفة فى المشرق الإسلامى، وبخاصة العمامة للرجال، لكن ما لبثوا أن تشبهوا بالنصارى فى أزيائهم، وفى ذلك يقول ابن الخطيب فى كتابه الإحاطة : تركوا العمائم وصاروا يلبسون الكمة الهندية، وكان أمراء المسلمين وشيوخهم وقضاتهم يلبسون القلانس (وهى نوع من غطاء الرأس ظهر فى الغرب لدى النصارى)، وتجنب الكثير منهم العمائم التقليدية (62).

ويوضح لنا هذا النص الذى ذكرناه عن ابن الخطيب فى تأثر المسلمين بالزى الغربى، إلا أن تأثير المسلمين على الأندلس بل على أوروبا كلها فى مجال الزى، كان واضحا، وبخاصة فى عصرى الإمارة والخلافة، حيث قوة الدولة وفتوتها، وربما قل هذا التأثير مع نهايات الحكم الإسلامى فى الأندلس، وهو ما يظهر من خلال نص ابن الخطيب، حول انقلاب الأوضاع ، من تأثر المسلمين بالنصارى.

ويذكر المستشرق الفرنسى / ليفى بروفنسال، أن القرن الرابع الهجرى، العاشر الميلادى، شهد دخول أزياء حواضر المسلمين من قرطبة وإشبيلية وطليطلة وبرشلونة وسرقسطة، إلى دور أمراء المسيحيين فى الشمال الإسبانى، وكانت سفارات ملوك النصارى، إلى بلاط قرطبة أيام الخليفة عبدالرحمن الناصر (300 – 350 هـ) – (912 – 961 م)، وخليفته الحكم المستنصر (350– – 366 هـ) – (961 – 976 م)، وأيضا المنصور بن أبى عامر (328 – 392 هـ) – (940 – 1002 م)، وتعود محملة بأفخر الهدايا والملابس والأزياء والتحف وغيرها (63).

وفى النهاية، لا بد من الإشارة إلى أن حسن الجوار، وبخاصة فى فترة قوة وفتوة الدولة الإسلامية بالأندلس، دفع النصارى إلى مشاركة جيرانهم المسلمين فى العديد من العادات الإسلامية، وتخلوا عن الكثير من العادات المسيحية، فقد قاموا بختان أبنائهم مثل المسلمين، واتخذوا لأولادهم

الكثير من الأسماء العربية، وكذلك امتنعوا عن أكل لحوم الخنزير، مراعاة لمشاعر جيرانهم المسلمين (64).

ومن العادات الإسلامية الأخرى التى شارك بها النصارى جيرانهم المسلمين، عادة النظافة بالذهاب إلى الحمامات العامة، فقد كان النصارى قبل دخول المسلمين إلى الأندلس، لا يغتسلون بشكل مستمر كالمسلمين، بل وصل الأمر ببعض المؤرخين إلى قولهم : إن النصارى لا يغتسلون سوى مرة واحدة أو مرتين فى العام، وبالماء البارد، ولا يهتمون كثيرا بنظافة أجسادهم وثيابهم (65).

ورغم المبالغة الواضحة والتعميم فى وصف ترك النصارى لعادة النظافة، لكن التأثير الإسلامى بعد الفتح والتعايش مع المسلمين أصبح واضحا فى إتخاذهم لهذه العادة الإسلامية. ودليلنا على ذلك إندثار تلك العادة مرة أخرى، بعد إنتهاء الحكم الإسلامى فى الأندلس، وذلك نتيجة تشدد الكنيسة ورجال الدين المسيحى، ضد كل ما هو إسلامى، وعلى رأسها عادة الذهاب إلى الحمامات، حتى تلاشت تلك العادة فى إسبانيا مع نهايات القرن السادس عشر الميلادى، بل إن هذا التحذير من هذه العادة الإسلامية وصل إلى فرنسا، التى بدورها، أصدرت كتابا يحذر الفتيات الفرنسيات من اتباع تلك العادة الإسلامية، إلا إذا أمر الطبيب بذلك، وعلى ألا تزيد على مرة واحدة فى الشهر (66).

وفى النهاية أرجوا أن أكون قد وفقت، فى ذكر جوانب التعايش المشترك بين المسلمين والنصارى فى الأندلس فى ظل حكم الدولة الإسلامية، فقد حاولت جاهدة البحث عن العوامل المشتركة التى جمعت الشعبين، فى ظل حكم إسلامى كان من أهم سماته على الإطلاق فى كل البلدان التى فتحوها سياسة التسامح والتعايش، وهو ما أبدعته الحضارة الإسلامية، وقد تجلى بصورة أكثر وضوحا على أرض الأندلس.

ورغم النهاية الفاجعة التى منى بها الإسلام والمسلمين فى الأندلس، بعد ثمانية قرون حافلة بالإنجازات والإحباطات أيضا، ولكن ما لا يمكن أن ينكره المنصفون، أن التفاعل الإسلامى على أرض شبه الجزيرة الأيبيرية، وإفساح المجال أمام الجميع على اختلاف أجناسهم وعقائدهم، ليبدعوا، ورغم المحاولات التى انتهجها حكام إسبانيا النصارى فيما بعد الحكم الإسلامى من محاولة لطمس الهوية الإسلامية ، إلا أنها مازالت واضحة وضوح الشمس فى كل مناحى الحياة الإسبانية إلى اليوم.

الهوامش والحواشى :

(1) الفتح الإسلامى للأندلس: فتحت الأندلس سنة 92هـ / 711م، بقيادة طارق بن زياد، فى عصر الدولة الأموية، والخليفة الوليد بن عبدالملك 50 – 96 هـ / 668 – 715 م، وقد امتد الحكم الإسلامى للأندلس، لنحو ثمانية قرون، إلى أن سقطت الأندلس، بسقوط أخر الممالك الإسلامية بها وهى مملكة غرناطة سنة 897 هـ / 1492 م. للمزيد راجع:- ابن الشباط : (محمد بن على المصرى التوزرى) 618 – 681 هـ 1221 – 1285 م, وصف الأندلس وصقلية، تحقيق د/ أحمد مختار العبادى، معهد الدراسات الإسلامية ، إسبانيا، مدريد، 1967م، ص 102.

(2) Leve Provencal: Histoire de L Espagne Musulmane, Tomo III Paris, 1967, P 426.

(3) الراهب يولوج القرطبى: Saint Euloguis Of Cordoba، ولد سنة 810 م، وأعدم فى 11 مارس سنة 859 م، ويطلق عليه أيضا القديس يولوجيوس القرطبى، أو إيولوخيو، وهو قس إسبانى، ولد وعاش جل عمره بمدينة قرطبة عاصمة دولة الإمارة والخلافة فى الأندلس، كان رأس الفتنة التى حدثت فى مدينة قرطبة، وعرفت تاريخيا بفتنة المستعربين، فى عصر الأمير عبدالرحمن الأوسط، 176 – 238 هـ / 792 – 852 م. وكانت نهاية فتنته واعدامه، فى عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن، 207 – 273 هـ / 823 886 م. للمزيد راجع :-

Hugo Hoever: Lives Of Saints: For Every Catholic Book Publishing Co, 1949, P 104.

Charles Reginald Haines: Christianity @ Islam in Spain A,D,756 – 1031m London. 1889. P 54.

(4) حسين مؤنس : الاسلام الفاتح، نشر دار الزهراء للإعلام العربى، بدون تاريخ، ص 15.

(5) مؤنس : نفس المرجع: ص 15، 16.

(6) R, Dozy: Histoire des Musulmans d E spagne Jusqu a La Conquete des Almoravides (Ed, Leve Provencal), 1932, P 48.

(7) جوستاف لوبون : حضارة العرب، أو تأثير الحضارة العربية فى أوروبا، تعريب / محمد عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1945م، ص 292، 293.

(8) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص 110.

(9) وقد أثرت أن أبدأ به نظرا لأهميته من ناحية، ومن ناحية أخرى، لإبراز الفرق بين تعامل المسلمين مع غيرهم من الشعوب التى اختلطوا بها ، علاوة على أن هذا الجانب شديد الحساسية، والذى شكل مأزقا كبيرا لكل الشعوب فى معتقداتها، فى كيفية التعامل والتعايش مع أصحاب المعتقدات المختلفة عنها، حتى الوثنية منها، حيث كان لها مواقف صارمة شديدة، لم يعرفها المسلمون فى تعاملهم على الإطلاق، وهذا ليس تحيزا ، كما يحلو للبعض أن يصف كل من يتطرق إلى هذه النقطة، وقد أدرجت فى المقدمه أمثلة قليلة جدا لشهادة بعض المستشرقين والتى تشيد بالمسلمين فى تلك النقطة على وجه التحديد.

(10) Samuel Parsons Scott : History Of The Moorish Empire in Europe, Volume I, Philadelphia, 1904, P 264.

(11) Francisco J Simonet: Historia de Los Mozarabes de Espana, Madrid 1879, Volume I, P 106.

(12) R, Altamira Y Crevea: Historia de Espana Y de Civilizacion Espanola, Barcelona 1900, Tomo I, P 217.

(13) Isidore de Las Cagigas : Los Mozarabes, Madrid 1947 – 1949, P 58.

(14) Isidore de Las Cagigas : Op : Cit, P 93.

(15) Isidore de Las Cagigas : Op : Cit, P 59.

(16) عمر فروخ : العرب والإسلام فى الحوض الغربى من البحر الأبيض المتوسط، الطبعة الأولى، 1378 هـ 1959م، بيروت، لبنان، منشورات المكتب التجارى، ص 185، 186.

(17) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، تحقيق أ / إبراهيم الإبيارى، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، دار الكتاب اللبنانى، 1410 هـ ، 1989 م، ص 62.

(18) Katz, Solomon : Monographs Of The Mediaeval ACademy Of America No. 12 The Jews in The Visigothic and Frankish Kingdoms Of Spain

and Gaul, Cambridge, Massachuetts, The Mediaeval, Society

Of America, 1937, PP 3-5.

(19) Thompson, E, A, : The Goths in Spain, Oxford, Clarendon Press, 1969, P 316.

(20) Katz, Solomon : Op : Cit, P 11.

(21) Edward Gibbon : The History Of The Decline and Fall Of The Roman Empire, Volume V, 1988, P 473, 474.

(22) ريموند شانيد لين : الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس، تحرير الدكتورة / سلمى الخضراء الجيوشى، الجزء الأول، الطبعة الثانية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1999م, ص 302.

(23) محمد سهيل طقوش : تاريخ المسلمين فى الأندلس، 91 – 897 هـ / 710 – 1492 م، الطبعة الثالثة ، لبنان، بيروت، دار النفائس، 1431 هـ، 2010م، ص 58، 59.

(24) عبدالرحمن الأوسط : هو أبو المطرف عبد الرحمن بن الحكم، 176 – 238 هـ / 792 – 852 م، ترتيبه الرابع بين أمراء بنى أمية فى الأندلس، وقد وصلت الإمارة فى الأندلس إلى ذروتها فى عهده، كان عاشقا للآداب والفنون، ولد فى مدينة طليطلة، وأمه أم ولد تدعى حلاوة، وقد بويع له بالإمارة بعد وفاة أبيه ف 27 ذى الحجة 206 هـ. للمزيد راجع :- ابن عذارى : (أبو عبدالله محمد بن عذارى المراكشى)، كان حيا سنة 712 هـ، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الثانى، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان، وليفى بروفنسال، المكتبة الأندلسية، رقم (4)، دار الثقافة، لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1400هـ، 1980م، ص 77، 80. المقرى : (أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقرى التلمسانى) ت 1041 هـ / 1631م، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الأول، دار صادر ، لبنان، بيروت، 1388 هـ، 1968 م، ص 367.

(25) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، من الفتح إلى بداية عهد الناصر، والخلافة الأموية والدولة العامرية، مكتبة الخانجى، القاهرة، الجزء الأول، 1997م، ص 267.

(26) للمزيد حول هذا الموضوع الذى خصص له دوزى فصلا كاملا فى كتابه راجع :-

R, Dozy : Historia de Musulmanes de Espana, Tomo I, Leyden, 1861, P 317.

(27) للمزيد حول تلك المزاعم، ضد الحكم الإسلامى فى الأندلس، راجع :-

Simonet, Francisco Javier : Historia de Los Mozarabes de Espana, Madrid, 1897 – 1897, Vol, I, P 258 – 272.

(28) قومس بن أنتنيان : كان واليا للأمير محمد بن عبدالرحمن (207 – 273 هـ) – (823 – 886 م)، حيث أوكل إليه جمع الضرائب من بنى جلدته النصارى، وشارك أيضا فى العديد من المناصب فى إدارة الدولة، وقد وردت ترجمة لقومس بن أنتنيان فى المصادر الإسلامية حيث ذكره ابن القوطية : (أبو بكر محمد القرطبى)، ت 367 هـ – 977 م، تاريخ إفتتاح الأندلس، حققه وقدم له ووضع فهارسه، الأستاذ / إبراهيم الإبيارى، المكتبة الأندلسية، رقم (2)، الناشر دار الكتب الإسلامية والمصرية، ودار الكتاب اللبنانى، القاهرة، بيروت، الطبعة الأولى، 1402 هـ – 1982 م، ص 83. الخشنى: (أبو عبدالله محمد بن حارث بن أسد القيروانى)، ت 371 هـ – 981 م، تاريخ قضاة قرطبة، تراثنا رقم (1)، المكتبة الأندلسية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966 م، ص 111.

(29)عمر فروخ : العرب والإسلام فى الحوض الغربى من البحر الأبيض المتوسط، ص 181.

(30) الزواج المختلط : كان أول من ضرب مثالا بالزواج المختلط من الإسبانيات، أول ولاة الأندلس ، وهو الوالى عبدالعزيز بن موسى بن نصير، فقد تزوج من أرملة أخر ملوك القوط الملك لزريق، وكانت تسمى أيلة أو إيخلونا Egilona، وتسميها المصادر العربية أم عاصم، وقد حذا حذوه كثير من كبار القادة الفاتحين. للمزيد حول الزواج المختلط فى الأندلس راجع :– مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس، ص 20. ابن القوطية : (أبو بكر محمد بن عمر القرطبى) ت 367 هـ / 977م، تاريخ افتتاح الأندلس ، نشر دون / خوليان ريبيرا، مدريد، 1962، ص 6. العبادى : الإسلام فى أرض الأندلس، ص 62.

(31) المولدون : هم الطبقة الجديدة التى ولدت على أرض الأندلس، وهم نتاج زواج وتسرى المسلمين بالإسبانيات، وقد اشتهرت منهم العديد من الأسرات الأندلسية، وكانت لهم أدوار مهمة على كافة الأصعدة، وكان ينظر إليهم بالكثير من الشك والتوجس، وقاموا بالعديد من الثورات. للمزيد راجع:– هنرى بيرس : الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف ملامحه العامة، وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية، ترجمة / د الطاهر أحمد مكى، دار المعارف، 1988 م، ص 255. محمد عبدالله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس، الجزء الأول، مكتبة الخانجى، القاهرة، الطبعة الرابعة، ص 206. حسن يوسف دويدار : عناصر السكان فى الأندلس، المجتمع الأندلسى فى العصر الأموى، القاهرة، مطبعة الحسين الإسلامية، 1994م، ص4 وما يليها.

(32) أحمد مختار العبادى : الأعياد فى مملكة غرناطة، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد الخامس عشر، 1970م، ص 140 وما يليها.

أحمد مختار العبادى: الإسلام فى أرض الأندلس أثر البيئة الأوربية، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الثانى، 1984 م، الكويت، وزارة الإعلام، ص 391.

أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس فى عصر بنى الأحمر، الناشر مؤسسة شباب الجامعة الأسكندرية، 1997م، ص 119.

Abbadi (Ahmad Mujtar Abbadi) : El Reino de Granada en La Epoca de Muhammed V, Madrid, 1973, PP 157, 158.

Heneri Peres : La Poesie Andalouse en Arabe Classique au Siecle XI, Paris, 1953, PP 303, 304.

(33) العبادى : الإسلام فى أرض الأندلس، ص 391.

Fernando de La Granja : Fieestas Cristianas en Al-Andalus, Revista Al-Andalus XXXIV, Madrid, 1969, P2.

(34) خميس إبريل أو خميس العهد: كان من أهم أعياد النصارى فى الأندلس، ومن أهم طقوسه القيام بملىء إناء من الماء، وقراءة تراتيل معينة عليه من العهد الجديد، ثم يقوم البطريرك المختص بغسل أرجل بعض الناس بهذا الماء، وذلك محاكاة لم فعله السيد المسيح عليه السلام، مع تلاميذه كى يعلمهم التواضع، وعدم التفريق بين النصارى على مذهب معين يسمونه خميس العدس، حيث يطبخون فيه طعام العدس بعدة أشكال، ويطلق عليه فى الأندلس خميس إبريل. سعيد سيد أحمد أبو زيد : الحياة الإجتماعية فى الأندلس ، فى عصر دولتى المرابطين والموحدين، 484 – 620 هـ / 1091 – 1223 م، كلية الآداب، جامعة المنوفية، الطبعة الأولى، 1996م، ص 185، هامش (4).

(35) عيد العنصرة، أو إقامة العنصرة أو عيد المهرجان : ويسمى أيضا عيد الخمسين، أو حلول الروح القدس أو نزول السيد المسيح عليه السلام، على تلاميذه الحواريين بعد إنقضاء خمسين يوما على رفعه، أى قيامته مرة أخرى، ويعرف فى إسبانيا بعيد القديس سان خوان San Juan، وما زال الإسبان يحتفلون به

إلي اليوم، وفى نفس الموعد من كل عام. للمزيد حول هذا العيد الذى وجد صدى فى المشرق والمغرب الإسلامى، وبين المسلمين والنصارى. راجع :- أنخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة / د/ حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة، 1955م، ص 21. أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس، ص 118، 119. Dozy : OP , Cit, Tomo II, P 621.

H, Peres : La Poesie, P 304.

(36) جلب المسلمون معهم إلى شبه الجزيرة الأيبيرية، العديد من المؤثرات الحضارية، وعلى رأسها الأعياد، والعجيب أن النصارى فى الأندلس، تأثروا بتلك المؤثرات وصبغوها بالصبغة الخاصة بهم، وأصبحت من الأعياد المهمة التى يحتفل بها جميع أهل الأندلس، ومن أهم تلك الأعياد عيد النيروز (أو عيد الربيع)، وهو الإحتفال ببداية السنة الشمسية عند الفرس، وهو من أعياد الفرس القديمة، ويوافق أول قدوم فصل الربيع، ويذكر المستشرق الفرنسى / ليفى بروفنسال، أن أهل الأندلس كانوا يحتفلون به أيضا يوم الإعتدال الربيعى فى السابع عشر من مارس. Leve Provencal : Histore, Tomo III, P 438.

أما هنرى بيرس فقد ذكر: أن عيد الربيع فى الأندلس، كان يتم الإحتفال به في أول شهر يناير.

H, Peres : La Poesie, P 303.

(37) المسعودى : (أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى) 283 – 345 هـ / 896 – 956م، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق / محمد محى الدين عبدالحميد، الطبعة الأولى، دار الفكر، لبنان، بيروت، 1989م، ص 212. العبادى : الإسلام فى أرض الأندلس، ص 291.

(38) ابن حيان : (أبو مروان بن حيان القرطبى) ت 469 هـ – 1076 م، المقتبس فى أنباء أهل الأندلس، تحقيق د/ محمود على مكى، لبنان، بيروت، 1973م، ص 138. العبادى: الإسلام فى أرض الأندلس، ص 390، 391. كمال أبو مصطفى : مالقة الإسلامية فى عهد دويلات الطوائف (القرن الخامس الهجرى – الحادى عشر الميلادى)، الأسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1993م، ص 103، 104، هامش (6).

(39) العزفى : (أبو القاسم محمد بن أبى العباس بن أحمد بن محمد اللخمى) ت 639 هـ، الدر المنظم فى مولد النبى المعظم، نشر وتحقيق المستشرق الإسبانى/ فرناندو دى لا جرانخا، مجلة الأندلس، 1969م،

(40) العزفى : نفس المصدر، والصفحة.

(41) العزفى : نفس المصدر، ص 28.

(42) المجبنات : هى نوع من الفطائر الأندلسية، يصنع من الجبن، وقد يضاف إليه العسل، وكان الأندلسيون ذوى غرام بها، حتى أنشدوا فيها شعرا، وقد أشتهرت إحدى مدن الأندلس بتلك الصناعة المهمة، وهى صناعة المجبنات، وهى مدينة شريش Jerez، وهى من أعمال مدينة إشبيلية Sivlla، ولوصول هذه المدينة الذروة فى تلك الصناعة المتعددة للأجبان، قيل فيها هذا المثل، '' من دخل شريش ولم يأكل المجبنات فهو محروم ''. ابن الآبار : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى) (595 – 658 هـ) – (1199 – 1260 م)، الحلة السيراء، تحقيق د/ حسين مؤنس، سلسلة ذخائر العرب (58)، دار المعارف، الطبعة الأولى، 1963م، ج2، ص 291. المقرى : (أحمد بن محمد التلمسانى) (ت 1041 هـ – 1631 م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د/ إحسان عباس، ثمانية مجلدات، دار صادر، لبنان، بيروت، 1388 هـ ، 1968 م، الجزء الأول، ص 184.

(43) الطرطوشى : (أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهرى) ت 520 هـ – 1126 م، الحوادث والبدع، تحقيق

د/ محمد الطالبى، تونس، 1959م، ص 140، 141. أحمد مختار العبادى : الإسلام فى أرض الأندلس، ص 107. عبادة عبدالرحمن رضا كحيلة : تاريخ النصارى فى الأندلس، الطبعة الأولى، 1414 هـ، 1993 م، ص 111. Leve Provencal : Histoire, Tomo III, P 438.

(44) Rachil Arie : L Espagne Musulmane au Temps de Nasrides, (1232 – 1492), Paris, 1973, Vol I, P 401.

Miguel La Funte Al Cantara : Historia dr Granada, Tomo III, Granadn 1846, PP 166. 167.

(45) مدينة قادس : Codiz, جزيرة بالأندلس، عند طالقة من مدن إشبيلية، وطول جزيرة قادس من القبلة، إلى الجوف اثنا عشر ميلا، وعرضها فى أوسع المواضع ميل، بها مزارع كثيرة الريع، وأكثر مواشيها المعز. للمزيد راجع :– الحميرى : (أبو عبدالله محمد بن عبدالمنعم الحميرى) ت أواخر القرن التاسع الهجرى، (15 م)، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق د/ إحسان عباس، مؤسسة ناصر الثقافية، لبنان، بيروت، مطابه دار السراج، الطبعة الثانية، 1980 م، ص 448،

(46) ليفى بروفنسال: الإسلام فى المغرب والأندلس، ترجمة د/ السيد عبدالعزيز سالم، وأ / محمد صلاح الدين حلمى، مراجعة د/ لطفى عبدالبديع، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، 1956م ص 287.

(47) ترند : إسبانيا والبرتغال، من كتاب The Leagcy Of Eslam, ترجمة د/ حسين مؤنس، طبعة القاهرة، 1936م، ص 31. رجب محمد عبدالحليم : العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، فى عصر بنى أمية وملوك الطوائف، الناشرون دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصرى، دار الكتاب اللبنانى, بدون تاريخ، ص 434.

(48) زمرة أو Zambra: هى عبارة عن فرقة موسيقية، يصحبها المغنى أو المغنية، وتتكون من عواد وزامر وطبال وصاجات وراقصون. ليفى بروفنسال : سلسلة محاضرات عامة عن أدب الأندلس وتاريخها، ترجمة د/ محمد عبدالهادى شعيرة، مراجعة أ/ عبدالحميد العبادى، القاهرة، 1947 – 1948 م، ص 24. أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس، ص 132. ويضيف أستاذى الدكتور / أحمد مختار العبادى، أن هذه المجالس التى تعرف، بالزمرات لا زالت توجد إلى اليوم لدى نصارى الشمال الإسبانى، الذين يعرفون بغجر إسبانيا، والذين يعرفون بإسم Jitanos, أى الغجر.

Abbadi : El Reino de Granada, P 132.

(49) ترند : نفس المرجع، ص 31، 32، 33.

(50) أشعار التروبادور Trowbadoures، كان بداية ظهور شعر التروبادور فى القرن الثانى عشر الميلادى، وظهر فى البداية فى إقليم بروفانس بجنوب فرنسا، حيث نقلوه عن جذورة الأولى بالأندلس، وقد تأثر هذا الشعر بالموشحات الأندلسية العربية، واتخذ منها طريقتها من حيث الوزن والدقة والخيال والموضوعات التى غالبا ما تمجد الحب العذرى العفيف البعيد عن الأوصاف الحسية، ولذلك أصبحت موضوعاته مفضلة لدى فرسان العصور الذهبية بأوروبا، ووجدوا فى تلك الأشعار مرادهم فى السمو والإرتقاء بالمرأة، والتغنى بها فى أشعارهم، كما كان يفعل شعراء الأندلس، وبخاصة فى فن الموشحات الأندلسية، التى كانت بداية الخرجة فيها، على لسان إمرأة، هى التى تتغزل في الطرف الأخر، وقد انتقلت هذه الأشعار من الأندلس، إلى أوروبا كلها فترة العصور الوسطى. للمزيد عن شعر وشعراء التروبادور راجع :-

Gustave Lanson : Histoire de La Literature Francaise, Paris, 1916, PP 86, 87.

Ramon Menendez Pidal : Espana Coma El Ebon enter El Cristianismo El Eslam , Madrid, 1953, PP 7 – 15.

(51) ليفى بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس، مقال الشعر العربى فى المغرب والأندلس، مقال الشعر العربى فى إسبانيا وشعر أوروبا فى العصر الوسيط، الطبعة الثانية، الإسكندرية، 1990م، ص 280.

Heneri Peres : La Poesie Arabe de Andalousie et sus relations possibles avec La Poesie des Trowbadours, Paris, 1947, PP 107 – 130.

(52) الصقالبة : كانوا رقيقا أو عبيدا من سبى الشعوب السلافية بالشمال الأوروبى، تم بيعهم إلى عرب الأندلس، ولذا أطلق عليهم الصقالبة، ثم توسع الأندلسيون فى استعمال هذا الإسم، وأطلقوه على مواليهم الذين جلبوهم من مختلف البلاد الأوربية، بما فى ذلك شمال إسبانيا المسيحى، وجىء بأغلب هؤلاء الصقالبة أطفالا ومن الجنسين إلى مدينة قرطبة حاضرة الخلافة حيث ربى الذكور منهم تربية عسكرية إسلامية، وتم استخدام بعضهم فى أعمال القصر والحرس والجيش، وقد تدرجوا فى الرقى بالمناصب، حتى صار منهم الوزراء والقواد وكبار رجال الدولة. للمزيد راجع :- أحمد مختار العبادى : الصقالبة فى إسبانيا، لمحة عن أصلهم، ونشأتهم، وعلاقتهم بحركة الشعوبية، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية، مدريد، 1935م. ص 211.

(53) سورة الجائية : الآية (32).

(54) الطرطوشى : (محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشى الفهرى الأندلسى) ت 520 هـ، 1126 م، الحوادث والبدع، تحقيق د/ بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، ومكتبة دار لبنان، الطبعة الثانية، دمشق، بيروت، 1413 هـ، 1991 م، ص 59. أحمد مختار العبادى : الإسلام فى أرض الأندلس، ص 394.

(55) سورة النساء : الآية (7).

(56) سورة المائدة : الآية (116).

(57) الطرطوشى : الحوادث والبدع، ص 59.

(58) الطرطوشى : نفس المصدر، ص 57.

(59) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس، ص 212.

(60) أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس، ص 133.

Abbadi : El Reino de Granada, P 155.

(61) هنرى بيرس : الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف، ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية، وقيمته التوثيقية، ترجمة د/ الطاهر أحمد مكى، دار المعارف، الطبعة الأولى، ذو القعدة 1408 هـ – 1988 م، ص 491.

(62) ابن الخطيب : (لسان الدين أبو عبدالله محمد بن الخطيب) ت 776 هـ – 1374م، الإحاطة فى أخبار غرناطة، تحقيق أ / محمد عبدالله عنان، دار المعارف، مصر، سلسلة ذخائر العرب، رقم (17)، الجزء الأول، 1901 م، ص 142.

(63) Leve Provencal : La Civilisation Arabe en Espana, Buenos Aires, 1953, PP 127 – 129.

(64) ابن عذارى : (أبو عبدالله محمد المراكشى)، كان حيا سنة 712 هـ، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الثانى، لبنان، بيروت، 1950م، ص 23. رجب عبدالحليم : العلاقات بين الأندلس ص 423.

(65) حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون فى الأندلس، من البداية إلى الحجارى، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، المجلدان السابع والثامن، مدريد، 1959م – 1960م، ص 276.

(66) ليوبولدو توريس بلباس : الأبنية الإسلامية الإسبانية، ترجمة / علية الضانى، مجلة الدراسات الإسلامية، مدريد، 1953م، ص 117.

والله ولى التوفيق ،،،،،،،،